مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (6)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (6) 2014

دلالـــة الأصـوات المـفـردة في نص"أغاني مهيار الدمشقي" لأدونيـس (الجرح- رؤيا- نوح الجديد)نموذجاً

الدكتورة أسمهان الصالح*
الدكتورة ميساء عبد القادر**
رونيا رستم***

(تاريخ الإيداع 16 / 9 / 2014. قبل للنشر في 15 / 12 / 2014)

□ ملخّص □

توجهت كثير من الدراسات الحديثة إلى دراسة الأدب بشكل عام، والشعر بشكل خاص من خلال تركيبه الصوتي، لما للأصوات التي يستخدمها الشاعر من أهمية في نقل مشاعره وأحاسيسه ورؤاه.

وهذا البحث هو دراسة أسلوبية إحصائية في الأصوات المفردة ودلالاتها، وهي دراسة تهدف إلى إظهار أهمية الأصوات في بناء المستوى الدلالي من القصيدة، ودلالة تكرار صوت أكثر من غيره، وهذا يتعلق بشكل مباشر بقدرة الشاعر على توظيف الأصوات توظيفاً أسلوبياً لخدمة مقاصده وغاياته الشعرية.

ويجري البحث أولاً عملية إحصائية، ثم يحاول أن يتقصى الجوانب الدلاليّة بدءاً من الصوت المفرد، وانتهاءً بالنص كبناءٍ كليّ، لدراسة تكرارات الأصوات وصفاتها، والنسب المئويّة للأصوات الأكثر تردّداً بحسب الترتيب التنازلي وذلك في ثلاث قصائد طوال، مختارة من ديوان (أغاني مهيار الدمشقي)هي : الجرح – رؤيا – نوح الجديد.

الكلمات المفتاحية:الأصوات، الدلالة، أدونيس.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (6)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (6) 2014

*أستاذة – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة حلب – سورية.
**أستاذة مساعدة – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.
***طالبة دراسات عليا (ماجستير) – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.

The Signification of The Signale Phonemes in Adonis'stext "Agani Mehear Aldemashki" (Aljurh– Ro'aya– Nouh Aljadeed) Are Chousen to Study.

Dr. Asmahan Alsaleh*
Dr. Mysaa Abd Alkader**
Ronia Rustom***

(Received 16 / 9 / 2014. Accepted 15 / 12 / 2014)

□ ABSTRACT □

The research is a Stylistic study of the single phonemes signification in Adonis's poetry. For this reason, Stylistics had to study the choice the writer had done through the series of possible choices in the field of language. Phonemes have a great effect when performing the signification side of a poem. In addition, the research will look for the significant aspects beginning from signal phonemes reaching the text as a total structure, just to study the repetition of phonemes and their attributes. Moreover, it will try to study the percentages of phonemes which are repeated more according to the decreasing order. All these studies will be done through three long poems chosen carefully from (Agani Mehear ALDEMASHKE) namely : Al Jurh – Ro'aya – Nouh Al Jadeed.

keyword: Phonemes, Signification, Adonis.

مقدمة:

*Professor, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Aleppo University, Syria.
**Associate Professor, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.
***Postgraduate Student, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.

إنَّ الشّعر في حقيقته بنية لغويّة، يعتمد إمكانية اللّغة في التَّعبير عن أحاسيس الشّاعر ومشاعره، أي إخراج المعاني والدَّلالات الكامنة في تلك اللّغة. وبما أنَّ اللُّغة "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1] لذلك كان للمستوى الصوتي الأولوية في الدراسة والبحث والتحليل.

أهمية البحث وأهدافه:

أما البحث فيهدف إلى دراسة دلالة الأصوات المفردة في شعر أدونيس دراسة أسلوبية، ثم إجراء دراسة إحصائية على تلك الأصوات ، للوقوف على دلالة تكرار صوت ما أكثر من غيره في تلك القصائد. ولقد أفادت الدراسات الأسلوبية من اللسانيات في تحديد قدرة المتكلم على استعمال الأصوات للدلالة العادية، أو للدلالة الشعرية، لذلك كان من مهام الأسلوبية دراسة الاختيار الذي قام به الكاتب من سلسلة الاختيارات الممكنة في حقل اللغة.

وتكمن أهمية البحث في إظهار أن للأصوات أثراً كبيراً في بناء الجانب الدلالي لقصيدةٍ ما، ويبرز ذلك الجانب الدلالي بدءاً من الصوت المفرد، وانتهاءً بالنص كبناءٍ كليّ، عبر دراسة تكرارات الأصوات وصفاتها، والنسب المئويّة للأصوات الأكثر تردّداً بحسب الترتيب التنازلي وذلك في ثلاث قصائد طوال، مختارة من الديوان هي: الجرح – رؤيا – نوح الجديد. وستتم الإشارة إلى الظواهر التي توفر الحدّ الأدنى من الموضوعيّة، لأنّ جانباً غير بسيط من الدراسة الصوتيّة هو دراسة انطباعيّة.

منهجية البحث:

يدرس البحث ثلاثة نصوص من ديوان الشاعر أدونيس (أغاني مهيار الدمشقي) دراسة صوتية، ولا يلتزم منهجاً واحداً، فالمنهج هو الكيفية التي يتم من خلالها التعامل مع النصوص، وبما أنه لكل نص منطقه الخاص الذي يفرض معه منهجه المناسب، كان على البحث الاهتمام بالنص، والانطلاق منه، واختيار المنهج الذي يناسب النص المدروس، ويفرغ شحنته الأدبيّة. وعلى هذا فعندما يصف البحث الظاهرة وصفاً دقيقاً، يستخدم المنهج الوصفي، وعندما يحللها يستخدم المنهج التحليلي، وعندما يجري إحصاءً لظاهرة ما يستخدم المنهج الإحصائي، وفي تحليله بشكل عام يستخدم أدوات الأسلوبية.

دلالة الأصوات المفردة:

إن"المستوى الصوتي: هو المستوى الذي يدرس المنظومة الصوتية في اللغة، وعند دراسة هذه المنظومة لا بد من التمييز بين علم أصوات اللغة (الفونتيك Phonetic)، وعلم وظائف الأصوات اللغوية(الفونولوجيا Phonology). إذ يدرس علم أصوات اللغة تشكّل الأصوات اللغوية عضوياً (فيزيولوجياً) وفيزيائياً، كما يدرس تشكل النبر والمقطع والتنغيم، أي بنية الكلمة الصوتية، ويدرس أيضاً بنية الكلام الصوتية. وأمَّا علم وظائف الأصوات فيتناول عناصر المنظومة الصوتية، أي صوتيماتها (فونيماتها Phonemes)، فيحدد عدد هذه الصوتيات، وسماتها المميزة، وتقابلاتها الوظيفية، وتناوباتها، والعلاقة بينهما".[2] "علماً أن اللغويين اختلفوا في تعريف الصوتيمة وتحديد مفهومها باختلاف مدارسهم، ووجهات نظرهم ووجدوا إمكانية التمييز في المعاني عن طريقها."[1] والصوت لن يؤدي دوره إلا ضمن سياق

---

[1] ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، (د.ت)، ج1/ص44.

[2] قضماني، د.رضوان، مدخل إلى اللسانيات، ص 76.

[1]BLOOMFIELD, LEONARD – LANGUAGE– LONDON : 1950, P.G(79).

تركيبي، على الرغم من أن لكل كلمة مفردة صوتاً فعلياً يساهم في تحديد دلالتها، فالكلمة إذا ما ركبت مع كلمات أخرى أنتجت مجموعة من الأصوات توجه معنى النص ضمن السياق في كل عمل. "ويقوم العمل الأدبي، عند جاكبسون، وبخاصة الشعري منه، على مبدأين متكاملين هما : التعادل والتجاور. أما مبدأ التعادل فيضبط انتقاء الشاعر للوحدات الكلامية من خزانها الاستبدالي، وإذا كان هذا المبدأ موجوداً في الكلام العادي، فإنه ثانويّ فيه، لكنه أساسيّ في الشعر، ومن دلالاته التكرارات الصوتية، أما مبدأ التجاور فيخضع له ترتيب الوحدات اللغوية

في محورها الأفقي الإبدالي المتعاقب ومن دلالته في الشعر، المنطق الزمني لتسلسل المواضيع وتطورها."[2] ولقد توجهت بعض الدراسات الحديثة إلى "دراسة الأدب بشكل عام، والشِّعر خاصة من خلال التركيب الصوتي للألفاظ التي يستخدمها الشاعر والأديب فهي وسيلة ناجحة،... لما لهذه الأصوات في اللفظة من أهمية في نقل انفعال الشاعر أو الأديب، لأنَّ الأصوات اللّغويّة ترتبط بالنَّفس والعقل قبل إنتاجها، وتحمل شحنة الانفعال العاطفي، وتدل عليه، مستفيدة من طاقة الإيماء الصوتي للحروف، وهو يتجسد في القراءة الجهرية التي لا غنى للشَّاعر عنها في إبراز مستويات الأداء الانفعالي، وتلوناته الصوتية في قصيدته."[3]

"ويمكن لدرجات الصَّوت أن تؤدي دوراً مهماً في توجيه نوع الدَّلالة، إذ إن التَّنغيم، أي المنحني البياني الذي يسجله الصوت، يختلف في الواقع اختلافاً ملحوظاً حسب المعنى والخطاب. فالتنغيم دال إذاً، أي إنه يقوي هذه الاختلافات لتبين بشكل أحسن اختلاف المدلولات"[4] و"لا يتحقق ذلك في قدرة اللفظ المجردة، وإيقاعه الصوتي المجرد، وإنما ينشأ من علاقته بالألفاظ التي تسبقه مباشرةً، والتي تتلوه مباشرةً، و(ثانياً) من علاقته العامة بسائر السياق وهذه علاقة أكثر غموضاً"[5]. والسؤال المطروح: كيف وظف أدونيس الأصوات لتخدم المعاني الشعرية المطروحة؟.

في (أغاني مهيار الدمشقي) يطرح أدونيس قضايا ومعضلات إنسانية أزلية، ويربطها بمواجهة الإنسان المعاصر.

وإن تردد صوت في أكثر من موضع يؤدي إلى لفت انتباه المتلقي، فيقوم بعملية كشف دلالي عن طبيعة العلاقات الصوتية المترددة في النّص الواحد، للوصول إلى دلالات عميقة ذات قيمة واضحة، وفيما يلي دراسة لتكرارات الأصوات، وصفاتها على عينة مختارة من الديوان، تتمثل في ثلاث قصائد طوال من ثلاثة أقسام مختلفة من الديوان هي: الجرح – رؤيا – نوح الجديد:

النسب المئوية للأصوات الأكثر تردداً:

أكثر هذه الأصوات تردّداً حسب الترتيب التنازلي:

1. الأصوات المنفتحة، ونسبة تكرارها بالنسبة إلى تعداد الأصوات كلها: (95,35%).
2. الأصوات المجهورة، ونسبتها: (78,67%).
3. الأصوات الرّخوة، ونسبتها: (42,22%).
4. الأصوات المتردّدة، ونسبتها: (34,10%).

---

[2] أبو ناضر، د.موريس، مقالة (الأسلوب وعلوم الأسلوب)، مجلة الثقافة العربية، العدد/ 9/،أيلول، السنة /2 /، 1975م، ص 45.

[3] بريسيم، د.قاسم راضي، شعر لقيط بن يعمر الإيادي ، البصرة ، 1996م، ص 8.

[4] عبيد، د.محمد صابر ، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م، ص 24.

[5] المرجع السابق، ص 23.

5. الأصوات الشّديدة، ونسبتها: (23,67%).
6. الأصوات المهموسة، ونسبتها: (21,59%).
7. الأصوات الشّفويّة، ونسبتها: (18,78%).
8. الأصوات المنحرفة، ونسبتها: (17,97%).
9. الأصوات المكررة، ونسبتها: (7,85%).
10. الأصوات الصّفيرية، ونسبتها:(3,61%).
11. الأصوات المطبقة، ونسبتها: (2,65%).
12. الأصوات اللّثوية، ونسبتها: (0,88%).

نلاحظ أن الأصوات الأقل استخداماً هي المطبقة، فقد لا تؤدي الغرض المطلوب في الإبلاغ والإيصال، فالأصوات المطبقة قد تكرس الانغلاق والعجز عن الانطلاق والتعبير كما هي الحال في أثناء النطق بها.

وعلى النقيض من ذلك نجد أن الأصوات المنفتحة هي الأكثر استخداماً، وذلك لأن معظم الأصوات في اللغة العربية هي أصوات منفتحة، وهي كذلك تناسب مقصد كل شاعر يريد أن يطلق مع هذه الأصوات، ويفرغ كل ما يعتمل في نفسه من مشاعر كما يفعل أدونيس إزاء معضلات الكون والخلق، ومعضلات الحياة والموت، وكل ما يتصل بها من المعاني المطروحة.

وإذا ما اعتمدنا الجهر والهمس معياراً، فإن ذلك سيسمح لنا باستنتاجات أولية، فبالاحتكام إلى مدى شيوع هذه الأصوات في الخطاب العادي والتي لا تتجاوز 5 % إلى 20 %[1]، نلاحظ أن حضور الأصوات كان وظيفياً، لا من زاوية خروجها عن نسبة استخدامها في الخطاب التواصلي العادي فحسب، وإنما كذلك من خلال علاقة هذه الخصائص الصوتية بالمعنى الشعري الذي يفضي إليه النص الشعري كما سنرى لاحقاً. ونعلم أن الأصوات المهموسة تتطلب كمية من الهواء للتلفّظ بها أكبر مما تتطلب الأصوات المجهورة، وهذا لا يتناسب مع أدونيس فهو لا يريد أيَّ صنعة أو تكلف، إنما يريد تلك الأصوات ذات الترددات العالية والوضوح السمعي، وهي الأصوات المجهورة والتي شكلت نسبةً عالية ضمن جدول التكرارات الصوتية. والأصوات المجهورة هي: "الحروف التي تتشكل أصواتها في الحنجرة باهتزاز وتريها الصوتيين اهتزازاً منتظماً"[2]. ويحاول أدونيس عن طريق اعتماده صفة الجهر في الأصوات، أن يهز النفس البشرية، بطرحه إشكالات روحية تثير الكثير من القلق والتساؤل، فهي رؤيا أدونيس وإشراقاته الداخلية التي يجعلها في ديوان كامل. لقد أكثر الشاعر من استخدام الأصوات المنفتحة التي تتلاءم وتوقه إلى فتح رؤاه على العالم أجمع، وخروجه من الدائرة الضيقة التي كان قد حصر نفسه بها، ثم جاء الجهر ليعضد دلالة الانفتاح التي وردت سابقاً.

الجرح:

[1] بحسب إحصائيات إبراهيم أنيس، ينظر: أنيس، د.ابراهيم، موسيقى الشعر، دار القلم، بيروت، (د.ت)، ص 39.

[2] عباس، حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998م، ص 48-49.

أما أكثر الأصوات وروداً فكان حرف (اللام) في قصيدة (الجرح). و"صوت هذا الحرف يوحي بمزيج من الليونة والمرونة والتماسك والالتصاق، وهذه الخصائص الإيحائية لمسية صرفة"[1]. وهو من الأحرف الذلقية التي تخرج من ذلق اللسان (طرفه)، وبخروجها هذا لا تواجه عقبات أو انحباساً. وإيحاء المرونة الذي يمنحه هذا الحرف يتوافق وموضع خروجه، وهو ذلق اللسان، وهذا يمكن أن يقودنا إلى أن الشاعر يعود مرة أخرى إلى رفض كل العوائق التي تقف بينه وبين الحقيقة التي يسعى إليها، حتى ولو كان على مستوى الصوت يقول أدونيس[2]:

الورقُ النائم تحت الريحْ
سفينةٌ للجرحْ
والزّمَنُ الهالك مجدُ الجرحْ
والشّجر الطالع في أهدابنا
بحيرةٌ للجرحْ.
والجرحُ في الجسورْ
حين يطول القبْرْ
حين يطول الصَّبرْ
بين ضفاف حبّنا وموتنا، والجرْحْ
إيماءةٌ والجرحُ في العبورْ.

فالجرح لدى أدونيس هو مشروع موت،(الزمن الهالك)، ودليل حياة (الشجر الطالع)، يتخذ من القلق (الورق النائم تحت الريح) سفينة له. إنه كامن في الجسر الذي يمتد من الحياة الفانية الزائلة، إلى الحياة الأبدية الخالدة، فينفد الصَّبر للوصول إلى عبور ذلك الجسر، حيث سيتخطى أدونيس عالم المحسوس والتَّراكيب إلى عالم المعقول الأبدي.

رؤيا:

أما أكثر الأصوات وروداً في قصيدة (رؤيا) فكانت (الياء والتاء)[3]:

هرَبتْ مدينتُنا
فركضتُ أسْتجلي مسالكَها
ونظرتُ _ لم ألمحْ سوى الأفُقِ
ورأيتُ أنّ الهاربين غداً
والعائدين غداً
جسَدٌ أمزّقه على ورقي.

والياء صوت لين جوفيّ مجهور، إنَّها (للانفعال المؤثر في البواطن).[1]

---

[1] عباس، حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 79.

[2] أدونيس، ديوان (أغاني مهيار الدمشقي)، طبعة خاصة، بدايات للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م، ص 40.

[3] المرجع السابق نفسه، ص 138.

[1] القول لعبد الله العلايلي ، ينظر: عباس، حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 98.

والتاء صوت "مهموس انفجاري شديد... وعلى الرغم مما أسند إلى هذا الصوت من الشدة والانفجار، وما وصف بالقرع والقوة، فإن صوته المتماسك المرن يوحي بملمس بين الطراوة والليونة، كأن الأنامل تجس وسادة من قطن، أو كأن القدم الحافية تطأ أرضاً من الرمل الجاف."[2]

ومع الياء الذي يدل على الانفعال المؤثر في البواطن، نجد أدونيس في (رؤيا) يستسلم لإشراق داخلي، ويتخذ موقفاً باطنياً من الأشياء، ومن هنا يحتدم القلق والحيرة في شعره.

و"إن من يتكلم لغة معينة يدري كيف يستعملها للوصول إلى أهداف معينة"[3] لذلك يبدأ أدونيس من العنوان، فيجعله قناة ينقل ما يريده عبرها إلى ذلك المتلقي الذي يعجز نظام الاستقبال لديه عن فك شيفرة(Code) الرسالة المنقولة. فلغة أدونيس كلغة سائر الصوفيين والسرياليين، مليئة ومشحونة بطاقة رمزية تكثيفية عالية.

تلك الرؤيا تضيء عقل أدونيس، فيلحق بالمدينة الهاربة، ويحاول أن يستجلي كل معالمها، ويحيط بغموضها وغرائبها، فلا يجد غير الأفق اللامحدود، فتلك المدينة مدد لا بداية لها، ولا نهاية، ويرى دورة الحياة المستمرة في الولادة والموت، وفي الحياة والفناء.

إنه يؤمن بالصيرورة التي تقع على الأعراض، فالجوهر ثابت، أما الأعراض فمتعددة، وهنا نصل إلى رمز المدينة الذي حمّله أدونيس كثيراً من المعاني اللاهوتية الغامضة. فعلى الأغلب ترمز هنا إلى الحقيقة المطلقة، وهي حقيقة الخالق وحكاية الخلق. يقول[4]:

ورأيتُ– كانَ الغيمُ حَنجرةً
والماء جُدراناً من اللّهب
ورأيتُ خيطاً أصفراً دَبقاً
خيطاً من التاريخ يَعلقُ بي
تجترُّ أيّامي وتعقدُها
وتكرّها فيهِ – يَدٌ ورثتْ
جنسَ الدُّمى وسُلالة الخِرَقِ.

يرى أدونيس أن كل ما حوله ينطلق بشيء، وهنالك خيط رفيع يلملم أشتات هذه الحقيقة المطلقة عبر التاريخ، فالحقيقة موجودة منذ الأزل، وتم توارثها عبر التاريخ. أما دلالة الدُمى في شعر أدونيس فقد يكون أدونيس يلمِز لأمته العربية التي هي أشبه بجنس الدمى الخامدة غير الفاعلة، وهذا ينسجم ورؤيته للأمة وموقفه منها.

أو قد تكون الدمى هي الجسد الفاني، فهو دمية عندما تفارقه الروح، ويعبر هنا أدونيس عن فلسفته في التناسخ، فالجسد صور استجلاء الروح التي تتكرر عليه جيلاً بعد جيل، وهذا قد يناسب سياق القصيدة أكثر[1]:

ودخلتُ في طقس الخليقة في
رَحم المياه وعُذْرة الشّجَرِ

---

[2] ينظر: المرجع السابق، ص 55–56.

[3] CHOMSKY, NOAM (1977), ESSAYS ON FORM AND INTERPRETATION, ELSEVIER NORTH HOLLAND INC. TRAD, FR,ED, SEUIL (1980), P.G(11).

[4] أدونيس، ديوان(أغاني مهيار الدمشقي)، قصيدة رؤيا، ص138.

[1] أدونيس، ديوان(أغاني مهيار الدمشقي)، قصيدة رؤيا، ص138.

فرأَيتُ أشجاراً تراودني
ورأيت بين غُصونها غُرفاً
وأسرّةً وكوىً تُعاندني،
ورأيت أطفالاً قرأتُ لهم
رَمْلي، قرأت لهم
سُوَرَ الغمام وآيةَ الحَجَرِ؛
ورأيت كيف يسافرون معي
ورأيت كيف تُضيء خلفهمُ
بُرَكُ الدّموع و جُثَّةُ المطرِ.

يطرح أدونيس قضية لاهوتية حيرت العقول، وقلة من العلماء استطاعت أن تجد لها مخرجاً، وهي قضية الوجود وأصل الإنسان.

يدخل أدونيس طقوس الخلق التي تبدأ من رحم المياه، ويكرر فعل (رأيت) في كل القصيدة ليستكمل أدونيس رؤياه اللاهوتية. ثم يطرح السؤال الذي لم تكفّ العقول عن طرحه: ماذا أنا؟

هرَبت مدينتُنا –
ماذا أنا، ماذا؟ أسنبلةٌ
تبكي لقبّرةٍ
ماتت وراء الثلج والبَردِ
ماتت ولم تكشف رسائلها
عني ولم تكتب إلى أحد
وسألتُها ورأيت جثّتَها
مطروحةً في آخر الزّمنِ
وصرختُ – "ياصمت الجليد أنا
وطَنٌ لغربتها
وأنا الغريبُ وقبرُها وطني".

لا يسأل أدونيس من أنا؟، وإنَّما ماذا أنا؟ إنَّ أدونيس لا يستفسر عن الأشخاص، وإنَّما عن الماهيات: ماهية الجسد، وماهية الروح. ويتحدث عن القبّرة التي ماتت ومعها الحقيقة، فلم تكشفها في رسائلها فهل الحقيقة التي لا تكتب تندثر؟، الحقيقة تبقى في القلوب: هي غريبة ما لم تجد أرضاً أو موطناً تنتسب إليه، ويعلو صوت أدونيس: " أنا هو الوطن"، ثم يقلب المعادلة ويجعلها وطناً لغربته. فأدونيس غريب أيضاً ما لم يضع يده على الحقيقة التي هي وطنه وملجؤه، ولكن أدونيس يرى أنه وطن لغربة الحقيقة، بل الأكثر من ذلك هو يرى كل إنسان وطناً لهذه الحقيقة، كيف لا؟ وقد كان الإنسان وما يزال الآية الأسمى لمعجزة الخلق، فيه انطوى العالم الأكبر لقول الله عز وجل في كتابه العزيز: "وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلمُوْقِنِين﴿20﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴿21﴾."[1]

[1] **القرآن الكريم، سورة الذَّاريات/20.21.**

نوح الجديد:

ومن الأصوات التي كررها أدونيس أيضاً صوت (النون) في قصيدته (نوح الجديد):[2]

– 1 –

رحنا مع الفلْك، مجاديفنا
وعدٌ من الله وتحت المطرْ
والوحل، نحيا ويموت البَشرْ.
رحنا مع الموج وكان الفضاءْ
حبلاً من الموتى ربطنا به
أعمارنا وكان بين السماءْ
وبيننا نافذةٌ للدعاءْ.
" يا ربّ ، لِمْ خَلّصتَنا وحدَنا
من بين كلّ الناس والكائناتْ؟
وأين تُلقينا، أفي أرضكَ الأخرى،
أفي موطننا الأول
في ورَقَ الموت وريح الحياة؟
يا ربّ، فينا، في شرايينا
رعبٌ من الشّمس؛ يئسنَا من النُّور
يَئسنا من غَدٍ مُقبلِ
فيه نُعيد العمرَ من أوَّلِ.
يا ليتَ أنّا لم نصرْ بذرةً
للخلق، للأرض وأَجيالها
يا ليتَ أنّا لم نزل طينةً
أو جمرةً، أو لم نزل بين بينْ
كي لا نرى العالم كي لا نرى
جحيمه وربّه مرّتينْ".

– 2 –

لو رجع الزَّمانُ من أوَّل
وغمرت وجه الحياة المياه
وارتجّت الأرض وخفَّ الإلهْ
يقول لي يا نوح أنقذْ لنا
الأحياء – لم أحفلْ بقول الإلهْ
ورُحت في فُلكي، أزيح الحَصى

---

[2] **أدونيس، ديوان(أغاني مهيار الدمشقي)، ص 180.**

والطين عن محاجر الميّتينْ
أفتح للطوفان أعماقَهم،
أهمس في عروقهم أننا
عُدنا من التيه، خرجنا من الكهفِ
وغيّرنا سماء السِّنين،
وأنناُ نُبحر لا نَنْثني رعباً
ولا نُصغي لقول الإلهْ
موعدُنا موتٌ، وشطآننا
يأسٌ ألفناه، رضينا به
بحراً جليدياً حديدَ المياهْ
نعبره نمضي إلى منتهاهْ،
نمضي ولا نصغي لذاك الإلهْ
نُقنا إلى ربٍّ جديدٍ سواهْ.

وصوت النّون هو "(للتعبير عن البطون في الأشياء)، و(للتعبير عن الصميمية)، وهذه الإيحاءات الصوتية في النون مستمدة أصلاً من كونها صوتاً هيجانياً، ينبعث من الصميم للتعبير عفو الفطرة عن الألم العميق"[1].

وأدونيس عبر صوت النون الذي يعبر عن البطون في الأشياء، وعن الصميمية، يطرح أحجية الوجود في هذه القصيدة، فما هي هذه الأحجية؟ وكيف السبيل للاهتداء إلى حلها؟.

إذا حاولنا إحصاء المفردات التي يستخدمها أدونيس في قصيدته وهي: (فلك، الله، المطر، الوحل، البشر، الموج، الفضاء، الموتى، السماء، الناس، الكائنات، الأرض، الموطن، الموت، الريح، الحياة، رب، الشرايين، شمس، نور، عمر، بذرة، خلق، أرض، أجيال، طينة، جمرة، العالم، الجحيم، الزمان، الحياة، المياه، الأحياء، الإله، الحصى، الطين، الطوفان، الكهف، السنين، شطآن، بحر، جليد، حديد، مياه، رب).

ثم صنفناها ضمن زمر بحسب معانيها التي تنتمي إليها سنجد:

1- الله، السماء، الفضاء، رب، شمس، نور، إله، (الخالق).
2- البشر، الموتى، الناس، الكائنات، بذرة، خلق، أجيال، العالم، أحياء، (المخلوق).
3- المطر، الموج، المياه، الطوفان، شطآن، بحر، جليد، مياه، فلك، (الماء).
4- الوحل، الأرض، الموطن، أرض، طينة، الحصى، الطين، الكهف، الحديد، (تراب).
5- الريح (هواء).
6- جمرة، جحيم، (نار).
7- موت، حياة، شرايين، زمان، سنين، (دورة الحياة).

إذاً لدينا: ماء- تراب- هواء- نار وهي الأساس الذي يقوم عليه الوجود بأكمله، إنها عناصر الخلق الأربعة، ثم لدينا: الخالق والمخلوق ودورة الحياة، وبهذا نكون قد استكملنا أحجية أدونيس التي تقوم عليها هذه القصيدة، فقصة

[1] **القول الأول للعلايلي، والثاني للأرسوزي، ينظر: حسن، عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص160.**

الخلق، وما هو قائم به وعناصره المكونة له، كان مما شغل فكر أدونيس، وذلك يرتد إلى التربية اللاهوتية التي تلقاها أدونيس منذ طفولته المبكرة، وإلى معرفته بالفكر الصوفي خاصة.

إن"تجربة مهيار الدمشقي في تغيير العالم، واحدة من أطرف نماذج الشعر الحديث وأكثرها تعبيراً عن مأساة المثقف البرجوازي الصغير في مواجهته الفردانية لمعضلات الوجود والحياة، حين يحاول بأدواته الثقافية: اللغة والخيال، أن يسيطر عليها، وأن يشق لنفسه في الواقع المادي، طريقاً للخلاص بتلك الأدوات غير المادية. فالواقع بما فيه من حركية تناقضية، ليس قادراً على إرضاء النزعة الفردانية المعمقة عند مثقفنا ذاك، ولهذا يبدأ علاقته به بالرفض الكامل المطلق منطلقاً من نفسه لخلق عالم بديل على مقياس ذاته، إنَّه يرى عالم الواقع ويدركه ولكنه "لايعرفه" فيحاول أن يؤثر فيه باللغة التي تحاول أن تأخذ شكلاً سحريا "طقسيا" كي توحِّد إرادته بالعالم وإرادة العالم به، فلا يكون إلا أن تقوده إلى حلولية صوفية جديدة غامضة وغير مؤثرة، لأنها ليست نتيجة مكابدة، بل نتيجة وهم "طقسي" ما يلبث هو أن يتضخم حتى يصبح بديلاً للعالم الواقع، ومهرباً وملجأً منه."[1]

خاتمة:

تتأتى شعرية أدونيس من خلال "طبيعة الفجوة: مسافة التوتر الحادة التي يستقي النص شعريته منها، إذ يتعامل مع الأشياء تعاملاً بنقلها من وجودها الثابت في الطبيعة إلى عالم تدخل فيه ضمن شبكة من العلاقات التي تتدرج من خلالها في بنية وجودية جديدة، تصبح فيها علاقتها بالذات علاقة حميمة، تقترب من الحلولية وتلغى فيها الحدود الفاصمة التي تقوم عادة بينها وبين الذات."[2]

ولعلَّ البحث يستطيع أن يقول: إن مجمل الأصوات التي استخدمها أدونيس توحي بحالته النَّفسيّة والشّعورية، وإحساسه العميق بضرورة كشف الغموض عن الإشكالات الأزلية التي اعترضت، ومازالت تعترض الفكر الإنساني عامة.

وقد جاء الصوت في هذا النص أداة قيمة للعملية التَّواصليّة، فبالنظر إلى الاتساقات والتجاوبات الصوتية في نص أدونيس، نجد أنَّه عمد في كثير منها إلى خلق تردُّدات صوتية بأشكال مختلفة. وقد تجاوزت هذه الترددات كونها مجرد تكرار صوتي، فقد أسهمت في خلق حالة شعورية انفعالية عند المتلقي، لتصبح بمرتبة رابط خفي إيقاعي بين مكونات الملفوظ الشّعري في كل قصيدة.

وهكذا كرر بعض الأصوات، وحمّلها معانيه ومشاعره، فجاءت معبرة عما يريد لأن " المبدع حينما يكرر شيئاً إنما يريد تمييزه عن غيره، لأن صورة الأشخاص التي تتكرر كثيراً على النظر تكون أكثر وضوحاً في الإدراك، وأشد التصاقاً في الذّهن"[3].

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار الدَّلالة التَّركيبية للصَّوت، أي الصوت في الكلمة، ومن ثم في السياق، فإن ذلك سيقودنا إلى ما رآه (جان كوهن) من "أن الحرف يستمد الكثير من قيمته الصوتية والجمالية من الكلمة، والكلمة من التركيب، والتركيب من النص، ومدى انسجام هذه العناصر أو تنافرها"[1].

وبما أن "المادة الصّورية – أية مادة – تحمل طاقات تعبيرية كبيرة كافية فيها، تحتاج إلى سياق وبناء معماري يخرج كوامنها، ويتحقق على جميع المستويات الدلالية والألسنية والمعجمية والتركيبية."[3] فإننا نستطيع أن نقول: إن

---

[1] :داود، أحمد يوسف، لغة الشعر،، ص55.

[2] أبو ديب، د.كمال، في الشعرية، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1987، ص23.

[3] السيد، د.عز الدين علي، التكرير بين المثير والتأثير، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ، 1973م، ص 37.

[1] كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي، ومحمد العمري، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، 1986م، ص 70.

[3] النويهي، د.محمد، الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت)، ج39/1.

الصَّوت يحمل إذاً، مادة تعبيرية يستمدها من خلال وضعه مع أصوات غيره في الكلمة، ووضع الكلمة في السياق المناسب لها. والصوت قد يتكرر أكثر من مرة في النّص، وبشكل متناوب، فيرتبط هذا التكرار بالدلالة بصورة مباشرة، ويرتبط بحالة الشاعر الداخلية وفكره ورؤاه الحياتية.

المصادر والمراجع:

المصادر:

- القرآن الكريم.
- أدونيس. *ديوان (أغاني مهيار الدمشقي)*. طبعة خاصة، بدايات للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م.

المراجع:

- ابن جني، أبو الفتح عثمان. *الخصائص*. تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، (د.ت).
- أبو ديب، د.كمال. *في الشعرية*. ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1987م.
- أنيس، ابراهيم. *موسيقى الشعر*. دار القلم، بيروت، (د.ت).
- بريسيم، د. قاسم راضي. *شعر لقيط بن يعمر الإيادي*. البصرة ، 1996م.
- داود، أحمد يوسف. *لغة الشعر*. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1980.
- السيد، د. عز الدين علي. *التكرير بين المثير والتأثير*.دار الطباعة المحمدية، القاهرة،.1973م.
- عباس، د. حسن. *خصائص الحروف العربية ومعانيها*. اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 1998م.
- عبيد، أ. د. محمد صابر. *القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية*. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.
- قضماني، د. رضوان. *مدخل إلى اللسانيات*. مديرية الكتب والمطبوعات، منشورات جامعة البعث، 1988م.
- النويهي، د.محمد. *الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه*. الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).

المجلات والدوريات:

- أبو ناضر، د. موريس. *"الأسلوب وعلوم الأسلوب"*. مجلة الثقافة العربية، العدد/ 9/، السنة/ 2/، 1975م، ص 45.

المصادر الأجنبية:

- BLOOMFIELD, LEONARD – LANGUAGE- LONDON : 1950, P.G(79).
- CHOMSKY, NOAM (1977), ESSAYS ON FORM AND INTERPRETATION, ELSEVIER NORTH HOLLAND INC. TRAD, FR,ED, SEUIL (1980), P.G(11).